

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

الدُّنْيَا والآخرة) [56]، ولا يتروَّغ مراوغة الزائف الغاشم، ليرصِّد متشابهات الأمور،
فيأخذ من خلالها أهدافه في العبث والفساد في الأرض، (وَأَمَّا السَّادِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
رَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ) [57]، لا هذا ولا ذاك، وإنَّما هي وقفة حازمة، وقفة الفاحص النابه، وسوف
تدركه عناية الله سبحانه ليحتضن الحقيقة على جلائها وصفائها بفضلها تعالى، (وَأَن لَّوِ
اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) [58]، إذن كان قولهم:
(آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) تمهيداً لطلب الحقيقة، ونقطة باعثة على
البحث والفحص عنها، وفي النهاية الوصول إليها. والله الهادي إلى سبيل الرشاد. وثمة
شبهة أخرى ذكرها الفخر الرازي في المقام، وهي: أن الله تعالى مدح الراسخين في العلم
بأنهم يقولون آمَنَّا بِهِ، فلو كانوا عالمين بتأويله لم يكن لهم في الإيمان به مدح؛ لأن
كل من عرف الحقيقة فلا بد أن يؤمن بها، فهو مطبوع على الإيمان حينذاك، فلا موضع للمدح
فيه [59]، لكننا ذكرنا أن المتشابه متشابه في بادئ النظر حتَّى بالنسبة إلى الراسخين في
العلم، لكنهم – بفضل رسوخهم في العلم وإيمانهم الثابت – لا يتزعزعون، وسوف يعلمون
تأويله بعد الجد والاجتهاد، وهذا هو الذي يستدعي مدحهم والترجيع بجانبهم. ثم ليس كل
من عرف الحق أذعن له وآمن به، وهناك الكثير من زائغي القلب ممَّن يلمس الحق ثم
يجحده، (وَجَحَدُوا بِهِهَا وَاسْتَخِفَّتْ قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا وَعَاوُوا) [60].